ساعة مع رائعة سيمون دو بوفوار :

أنا وسارتر والحياة

بقلم عايدة مطرجي ادريس

عندما تجتمع البساطة والعمق ، الصدق والفن ، الشاعرية المرهفه والواقعية ، حب الحياة والقلق على العد ، عندما يجتمع كل ذلك في نفحة متآلفة منسجمة ، تولد الروائع وتصبح مرصودة للخلود .

وقصة « سيمون دو بوفوار » « انا وسارتر والحياة »(١) هي احدى تلك الروائع .

انها قصة المغامرة التي انغمرت فيها سيمون دو بوفوار ترويها اليوم وقد اصبحت في الخمسين من عمرها . ذاك انها تحس ان الوقت قد حان لتستجيب لذلك النداء البعيد فتعير وجدانها للصبية المتروكة في اعماق الزمن الضائع، الضائعة معه « فتعيشه على الورق » انها تريد ان تقص حياتها والمعنى الذي حددته لها ، وهي في ذلك لاتجعل من نفسها شخصا مثاليا ، بل تعتقد ان الفرد ، ايا كان ، «بمجرد ان يعرض نفسه بصدق ، فان العالم كله سيكون الى حد ما معنيا .. وليس من الممكن ان يلقي المرء اضواء على حياته من غير ان يضيء ، هنا او هناك حياة الاخرين ... وان دراسة حادث خاص يفيد اكثر من اجوبة مجردة وعامة » انه قطاع من وجودها ـ ذلك الذي تحييه هنا ، من دون ان يكون لها هدف غير المزيد من التعرف على نفسها لان الحقيقة الكامنة في وجودها لايمكن الا ان تثير وتخدم .

ولم تكن تندفع في هذه المغامرة من دون تردد ، ولقد سألها سارتر ذات مرة : « لماذا لاتكتبين عن نفسك فيما تكتبين ؟ انك اكثر اثارة من كل بطلاتك » ، واحست سيمون بالدم يصعد الى وجنتيها ، « كان الجو حارا ، وكان حولنا كثير من الدخان والضجيج ، وخيل الي انني اضرب ضربة شديدة على راسي ، وقلت : لن استطيع ابدا ، لا ، لايمكنني ان اعرض نفسي كما هي فجة في كتاب ، من دون ان اتخذ اية مسافة ، وان اسيء الى سمعتي ، لا ، ان هذه الفكرة تخيفني » .

وبالرغم من هذا الخوف ، انطلقت سيمون دو بوفوار . فاذا نحن نقرأ كتابها هذا ، فننغمر في جوه بجاذبية قلما يشدنا الى مثلها كاتب ، فنرافق الصبية سيمون في مغامرتها تلك مدة خمس عشرة سنة ، جنبا الى جنب مع رفيق صباها ، سارتر ، في قصة قلما عرف التاريخ الادبي شبيها لها .

انها الان في باريس ، في عام ١٩٢٩ ، وقد استعادت حريتها الكاملة ، تريد ان تنتزع وجودها من اعماق الزمن فتعيش كل لحظة ، وتخط في كل صفحة من صفحات الوجود اسطرا لن تنسى ...

انها تملك اخيرا غرفة خاصة ، كتلك التي كانت تحلم بها وهي مراهقة ، غرفة تأوي اليها متى تشاء وتقرأ حتى الساعات الاولى من الفجر فلا عين تراقب ولا عامل يعكر .

ولكن هذه الحياة لم تكن لتسكرها حقا ، فلم يبدأ وجودها فعلا الا في منتصف تشرين الثاني ، حين عاد سارتر الى باريس .

وابتدات قصة حبهما ، هذا الحب الذي يبلغ اعماقا من النادر ان يبلغها حب ، والذي يتميز اول مايتميز بان البطلين لايصرحان به على الاطلاق بالرغم من انهما منغمسان فيه كليا ، حتى ليخيل اليك ان الكاتبة تحاول ان تحافظ على طهارة هذه العلاقة بطهارة اسلوبها .

ثم كان انطلاق هذه العاطفة في اجواء باريس يحدد فيها الحبيبان مشاريع المستقبل الباسم ، فتكون لنا نحن صور لحب من امتع واصدق وارهف مايمكن ان يعرفه الحب . « كنا نمشي في باريس ، وكنا نتابع كلامنا ، عن انفسنا ، عن علاقاتنا ، عن حياتنا ، وعن كتبنا القادمة ، وكنا نحدد النقاط » .

اما النقاط التي حدداها ، فتتلخص في انهما كليهما خلق ليكتب ولينتزع وجوده من العدم ، ومن هذا المجتمع الذي كان يجب ان يبنى من جديد « بان يصنع الانسان من جديد » . وكان هذا الصنع جزئيا من عملهما بمشاركتهما في الخلق الادبي .

وهكذا صممت سيمون على ان تكتب . وكانت تميز ان الطريق لذلك طويل وشاق ، فقررت ان تقاوم كل مايقف في وجهها . وكانت ارادة صلبة بطولية تمارسها كل يوم ، تساعدها « على ان تجعل من حياتها تجربة مثالية ينعكس عليها العالم كله » . فقد تراءى لها ان العمل الادبي هو وحده الكفيل بان يجعل هذه التجربة واعية وهي بأحيائها على الورق ، سوف تنتزعها من الزمن المتلاشي وتجعل منها طريقة خاصة للحياة .

وكان رفيقها سارتر يغذي في نفسه هذا المشروع بقوة وعناد واصرار اكثر منها ايضا ، انه هو نفسه « يفتش عن

---

(١) صدر هذا الكتاب بالفرنسية بعنوان La Force de l'Age وهو يقع في مايزيد على ستمئة صفحة من الحجم الكبير ، وقد رايت ان اقتطف منه كل مايخص علاقة الكاتبة بالفيلسوف الشهير جان بول سارتر ، غير اني حرصت على الا اسقط من الترجمة شيئا يضيء حياة سيمون دو بوفوار او يشرح افكارها او يتحدث عن اعماق نفسيتها . فقد كان يعنيني ان اقدم للقارىء العربي كل ماتهمه معرفته من تطور هذه الكاتبة المبدعة ، ولا سيما من علاقتها واحاديثها وارائها مع جان بول سارتر ، ولهذا اجتهدت بان اعنون هذا الكتاب « انا سارتر والحياة » وهو من منشورات دار الاداب .

نوع من الخلاص ، انه لم يخلق الا ليكتب ، وليكون شاهدا بجميع الاشياء . »

وكان يساعدهما في مغامرتهما ايمانهما بحريه جدريه لا حدود لها ، فكانا يعملان من دون هدنه ، وكانت تتكشف لهما في كل تجربه جديده حريه ما ، وكانت غايتهما في الحياه اكتشاف الجديد ، حتى لايقعا في الروتين ويعمرهما العدم .. ان الماضي وحتى الحاضر ، كان عليهما ان يتجاوزاهما بلا انقطاع .. انهما حران ، بلا قيود تشدهما ، بلا جدور . رغباتهما وعقلهما وضرورتهما هي كل مايدفعهما لاتخاذ قراراتهما . ان حياتهما ملكهما فقط .. ووجودهما يحقق رغباتهما بدقة حتى يبدو انهما هما اللذان اختاراه .

ولم تكن تلك الحياة لتتابع من دون عقبات . لقد كانت جيوبهما مسطحة ، وامكنه الترف ممنوعه عليهما ، ولكن الانسان هو الذي يخلق سعادته ، فلماذا تراهما يتاسفان لركوب السياره ، في الوقت الذي يقومان فيه ، وهما يتنزهان على قدميهما باكتشافات ومباهج لايمكن للراكب ان ينعم بها ؟ اتراهما سيشعران بسعاده تفوق تلك السعاده التي كانا يشعران بها ، ــ وبالاصح تشعر بها ــ وهما يأكلان في غرفتها خبزا وكبدة ، لو انهما وجدا في أفخم مطاعم باريس ؟ ان لهما اعيادهما ، وهما اللذان يخلقانها .

وراء هذه الحياة اليومية التي تسردها سيمون دو بوفوار تكمن فلسفتهما ، تلك التي عاشاها بوجودهما قبل ان يخطاها على الورق ، حياة كل يوم ، الغنيه بالاحداث الصغيرة ، المعبرة واللقاءات والاكتشافات . حياة يتجاذبها بالرغم من مظاهر اللهو واللامبالاة ، حس مريع للمسؤولية تجاه نفسيهما وتجاه العالم ، لقد رفضا كل مثالية قديمه ، وكل مفهوم للحياة الرصينة البالغة ، ومع ذلك فقد ظلت علاقتهما فكرية اكثر منها مادية ، وظلا مهووسين ، بالافكار . لقد اصرا على ان يحييا حياة ارضية ، ومع ذلك فقد خدما قيما روحية رفيعة . فبالرغم من كل غيرة كانت تعصف في نفس سيمون ، وبالرغم من جميع الظروف التي عرضتها لتتجاوب مع غير سارتر ظلت وفية له ، مصره على حبها له ، متأكده من انه « لن يأتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها » . ان حس الشرف يلازم الكاتبة وهو مفهوم للشرف اوجدته وفرضته على نفسها وعلى علاقتها برفيقها وعلى المجتمع الذي تعيش فيه .. لم يكن سارتر زوجها ، ولم تكن علاقتهما طبيعية يألفها المجتمع ، ومع ذلك فقد دامت وما تزال لانها تقوم على تفاهم فكري وروحي قلما جمع بين كائنين بشريين . ونحن اذ نتابع سيرتهما لاتراودنا اطلاقا اية فكرة من شأنها ان تضعف ايماننا بعظمة هذه العلاقة واحترامها ؟ انه لايسعنا الا ان نحب هذا التفاهم الجذري القائم على لمكاشفة والصراحة . « لم تكن الغيرة شعورا احتقره او انني لم كن عرضة له . ولكن هذه القصة « قصة تعرفه بأمراة اخرى » لم تأخذني على حين غره ، ولم تعكر الفكرة التي كنت اكونها عن حياتنا لان سارتر منذ البداية ، قد انبأني بانه سوف تكون له مغامرات . وكنت قد قبلت المبدأ ورضيت بالواقع من دون صعوبة . كنت اعلم الى اي حد كان سارتر مصرا في المشروع الذي يملك وجوده كله : ان يعرف العالم ويجربه . وكان لدي اليقين باني اشاركه وجوده الى حد لم يكن اي حادث عرضي في حياته يمكن ان يخيبني » . ولكن سيمون « الانسانة » كانت ماتلبث بين فترة واخرى ان تستيقظ فتصرح بتلقائية : « كان يحس بقلق وغضب وافراح لم يكن يعرفها معي . والضيق الذي كنت احسه من ذلك يذهب ابعد من الغيرة . ففي بعض اللحظات كنت اتساءل ان كانت سعادتي لاتستند بأكملها على كذبة كبرى » .

لقد رفضت سيمون الزواج ، لانها تريد ان تمنح نفسها للادب الذي تؤمن انها خلقت من اجله . والتزمت قضيتها تلك باخلاص واندفاع غريبين ، فعاشت الى جانب حياتها التي ارادتها كل يوم غنية بتجارب جديدة ، عاشت مع الكتاب . فكانت تقرا بلا انقطاع ، كل شيء ، ولم يكن يبرز امامهما كاتب جديد الا انغمسا في كتبه يقرآنها . وانك لتعجب حقا ، وانت تقرا تلك السيرة ، بهذا الاطلاع الكبير الذي ساعد على تفتح تلك العبقرية ، وبهذا الحس النقدي المرهف الذي تحكم فيه على المؤلفات التي قراتها ، وبذلك الفكر الثاقب المتفتح الذي ينفذ الى كنه النفسيات فيحللها ، ويخيل اليك ان سارتر وسيمون دو بوفوار لم يبلورا تلك الموهبة من دون عناء ، بل انها كانت نتيجة جهودهما الجبارة في الاطلاع والدرس والاكتشافات . فبالاضافة الى الكتب الادبية الكثيرة التي قراآها ، كانت الكتب الفلسفية تحتل نطاقا واسعا في حياتهما . لقد اكتشفا جسبرس الذي هدم امامهما المفهوم التقليدي لعلم النفس وساعدهما على رفض المطلق والهيام بالافكار المجردة ، وعندما حدث ارون سارتر عن هوسرل « اصفر من الانفعال » وذهب الى برلين ليدرسه . اما مؤلفاتهما ، فوراءها مخطوطات عديدة رفضت ، وهما بلا انقطاع يحاولان ويتحسسان طريقهما . وهذه التلمسات لاتقل جاذبية عن مغامراتهما اليومية ..

والشيء الفريد في هذه التجربة ، ان تلك المغامرة ، بالرغم من جميع العقبات المادية والفكرية والعاطفية ، يطغي عليها

صدر حديثا :

	ق.ل
ديوان الشريف الرضي جزآن	٣٠٠٠
ديوان طرفة بن العبد	٢٥٠
شوقي « مجموعة شعراؤنا »	٣٠٠
المطول في انشاء المكاتيب	٢٠٠
حكايات لبنانية لكرم البستاني	...
شعراء القصة والوصف في لبنان	...
القصة القصيرة في اميركا ترجمة لسميرة عزام	...
آثار البلاد واخبار العباد للقزويني	١٥٠٠
المحاسن والمساويء للبيهقي	١٢٠٠

الناشر : دار بيروت ــ دار صادر

حس السعادة . ان سيمون سعيدة بفقرها ، سعيدةبعلاقتها مع سارتر « هذا الرجل المتفوق على جميع الاخرين كان يخصني بطريقة ما » و « سعادتي كانت مضمونة بتفاهمي مع سارتر » ، سعيدة في طريقها الشاق نحو المجد .

وانما لنتنفس بملء رئتينا تلك الصفحات الساحرة العامرة بحب الحياة والشباب عبر النزهات الطويلة في الجبال المتلألئة بالثلوج والليالي المليئة بالاحاديث المسكرة، والقفزات المترعة المشمسة بين اسبانيا واليونان واجزاء فرنسا . فتبدو هنا سيمون الشاعرة المرهفة : « كانت هناك ليلة في « باس اردیش » . كان النسيم فيها لطيفا الى حد كنت ارفض معه ان احبس نفسي بين جدران . فنمت على حشيش شجرة كستناء ، وكيس تحت راسي، ومنبهي تحت فراشي ، ونمت نومة متصلة حتى الفجر . اية فرحة كانت تكمن في ان تتلقى زرقة السماء عندما تفتح عينيك ! واحيانا كنت ، عندما استيقظ ، استشعر وقوع عاصفة . وكنت اكتشف ، في خضرة الاشجار ، هذه الرائحة الرطبة التي يعلن عنها المطر في وقت لايكون فيه اي تهديد يمس السماءالسماء بعد . وكنت اسرع الخطى ، فريسة لهذا الاضطراب الذي سينقض على الطبيعة الهادئة ،وكانت الروائح والاضواء والظلال والنسائم والعواصف تنتشر تموجات هادئة او صاخبة في شراييني ، وعضلاتي وصدري، حتى انه كان يبدو لي ان صوت دمي ، وتحركات خلاياي، وكل هذا السر في الحياة استطيع ان المسه في طنطنة الزيزان وفي العواصف التي تكسر الاشجار ، وفي حسحسة الحشائش تحت قدمي .. كنت اتذوق سعادة الآلهة ،كنت انا نفسي خالقة للمنح التي كانت تغدق علي » . وانما لنشعر بسعادة تعدينا ونحن نرافقهما في تنقلاتهما تلك المسكرة ، سواء اكانت على الاقدام او في آخر درجة ،من درجات القطارات او الاوتوبيسات او في افقر الفنادق . ذلك ان السفر يتخذ عندهما وجهة نظر جديدة ، انه جزء من مغامرتهما في اكتشاف العالم ، وهذا مايهمهما . « اما حقائبنا فلم تكن ثقيلة الوزن ، وكنا نملأها ونفرغها بحرية واحدة .. كم كان ذلك ملذا ان نصل الى مدينة مجهولة، وان نختار فيها فندقا .. وقد دخلت برشلونة بشيء قلق كانت المدينة تنغل من حولنا . كانت تجهلنا ولم نكن نفهم لغتها . فاية وسيلة يجب ان نخترعها لندخلها في حياتنا ؛ ونزلنا في اسوا فندق ، ولكن غرفتنا اعجبتني ، فبعد الظهر عند القيلولة كانت الشمس تقذف اشعتها الملتهبة من خلال الستائر الحمراء ، وكانت اسبانيا هي التي تحرق جسدي .. كنا نعرف أننا لاينبغي ان نفتش عن روح المدن في متاحفها وآثارها وماضيها فحسب ، ولكن في الحاضر من خلال ظلالها وانوارها وجماهيرها وروائحها واغذيتها . وعند كل اكتشاف ، كان الواقع يبهرني » ... وفي افيلا، عند الصباح فتحت نوافذ غرفتي ، فرايت اسوارا منتصبة بروعة في زرقة السماء . « كان أن انمحى كل شيء، الماضي والمستقبل . ولم يكن هناك الا حضور واحد منتصر ، هو حضوري . اما حضور هذه الاسوار فقد كان هو نفسه ، وكانت تتحدى الزمن ، وكثيرا ماكانت هذه المسرات المتشابهة اثناء رحلاتي الاولي تذهلني .. »

اما سعادتهما تلك ، فلن يكتسباها مرة وينتهي الامر إنها بحاجة دائمة الى ان يجدداها في كل مناسبة ، بل في كل لحظة وتلك السعادة لم تكن تعميها ، بل هي تحتفظ بنظرها الناقد وعقلها الواعي الصريح الذي يجعلها تسافر وكأنها تهيء امتحانا وهي تدرس المناظر بدقة وانتظام كأنما هي تقرأ كتابا ، وحبها لسارتر لايمنعها من ان تكون خير ناقدة وملاحظة له ، وهو يثق بذوقها وبطاقتها فيطلعها على كل مايكتبه وهو قلق من ردة فعلها ..

هذا الصدق والصراحة والتلقائية في التعبير عن حياتهما وعلاقتهما هي التي تضفي على الكتاب نكهة محببة وانسانية مرهفة . والسيرة على بساطتها وتلقائيتها سيرة عميقة ، سيرة امراة تسعى لتحقيق ذاتها وفرض وجودها مع رفيق لن ينتزعه من حياتها الا الموت . انها قصة حوار يغمره الحنو والدفء والصداقة المتبادلة والاطمئنان في أن يتكيء كل منهما على كتف الاخر ، والسعادة في ان يكتشفا معا مباهج الحياة ، « كنا نذهب معا لاكتشاف العالم غير اني كنت أثق به ثقة كلية كانت تؤمن لي اطمئنانا نهائيا . وفي الوقت الذي القيت بنفسي في الحرية ، كنت اجد فوق راسي سماء بلا انشقاق . كان سارتر يتجاوزني، وبدلا من ان اشعر بالانزعاج كنت أرى من المناسب ان احترمه اكثر من نفسي » . وان في هذه المغامرة احدى اجمل صفحات حب هاديء يمكن أن يخرج من قلم اديب ، حب ممزوج بالرعشة والارادة والاحساس والشاعرية والرصانة في التفكير والتحليل .

لقد احبت سيمون سارتر ، ولم يكن حبهما قائما الا على اساس أنهما قد حددا لنفسهما افقا واحدا ومصيرا مشتركا وذلك هو اخلد الحب !

عايدة مطرجي ادريس

للوطن العربي الكبير
للاجيال العربية المناضلة ضد الاستعمار ...
للعبرة والتاريخ ...
نقدم هذا الكتاب الضخم
عبد الله فيلبي
قطعة من تاريخ العرب الحديث
تأليف الاستاذ: خيري حماد
الكتاب الذي يقدم للعرب فترة خطيرة من تاريخهم الحديث حفلت بالاسرار الغامضة والخفايا السياسية التي بقيت آثارها حتى اليوم ، مزينا بأندر الصور التاريخية ...
٤٠٠ صفحة من القطع الكبير - الثمن ٥٠٠ ق.ل - ٦٠٠ ق.س
منشورات المكتب التجاري - بيروت